ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

Rese. Mona Shaker Abbas

Dr. Seyed Mohammad Reza Hosseini Nia (Corresponsible Writer)

Dr. Abdoljabar Zarkoush Nasab

Department of Qur'anic and Hadith Sciences, Faculty of Theology, Ilam University, Iran

Email:
smny5663@gmail.com
m.hoseinina@ilam.ac.ir
a.zargooshnasab@ilam.ac.ir

Keywords:

The Opinion, the Philosopher, the End of History, Fukuyama, the Last Man, Statement of Evidence

Article info

Article history:

Received 18.Mar.2025

Accepted 27.Apr.2025

Published 25.Nov.2025

Fukuyama's opinion about the end of history and its evidence to show

A B S T R A C T

The philosophy of history has held significant importance among historical and social sciences, as it plays a guiding and directing role in shaping the foundational knowledge in philosophical and ideological systems that contribute to outlining strategic, political, and economic projects. Europe has been considered a case since the emergence of the philosophy of Aryan supremacy leading up to modern America. Despite this, the Islamic nation, with its diverse national components, remains unaware of all this, until the actual value of the philosophy of history and its significant impact in providing the ability to delineate suitable social and political systems emerges, which leads to providing opportunities to take the initiative in planning for a civilizational resurgence that changes the nation's reality for the better. Hence, this study is based on the claim that the product of Islamic thought in the philosophy of history represents a rich intellectual treasure on the distinctive historical level, as it also has a variety of perspectives while always retaining its identity. It is a treasure of clear authenticity drawn initially from the inspiration of the Quran, and then the awareness of historical experiences and the development of methods among Muslims. The notion of "the end of history" is not a product of the modern era but is as ancient as humanity itself. The first human, from an anthropological perspective, believed in the idea of the end of the world associated with history; the end for him did not exceed a day or a month but was ideologically linked to the sorcerer and the astrologer. Prophecy played a prominent role in shaping this idea, namely - the end of history and the last human - which was proposed by the American philosopher of Japanese descent Francis Fukuyama, where Fukuyama presents his fundamental theory that liberal democracy with its values of freedom, individuality, equality, popular sovereignty, and principles of economic liberalism shapes the end of humanity and humankind.

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol61.Iss2.4325

رأي فوكوياما حول نهاية التاريخ وبيان أدلته

الباحثة: منى شاكر عباس الدكتور: سيد محمد رضا حسيني نيا (الكاتب المسؤول)
أستاذ مشارك دكتور عبد الجبار زركوش نسب
قسم علوم القرآن والحديث ، كلية الالهيات ، جامعة ايلام ، ايران

الملخص:

إحتلت فلسفة التاريخ أهمية كبيرة بين العلوم التاريخية والاجتماعية، فهي تلعبت دور المصدر الموجه والمرشد في صياغة الاصول المعرفية، في النظم الفلسفية والايديولوجية التي تسهم في رسم المشاريع الاستراتيجية والسياسة و الاقتصادية، فتعد أوروبا منذ ظهور فلسفة تفوق الجنس الآري وصولا إلى امريكا الحديثة، وعلى الرغم من ذلك فان الأمة الإسلامية بمكوناتها القومية المتعددة، مانزال غافلة عن ذلك كله حتى تظهر القيمة الفعلية لفلسفة التاريخ وأثرها الكبير في توفير القدرة على ترسيم النظم الاجتماعية والسياسية المناسبة، التي تؤدي إلى توفير فرص الأخذ بزمام المبادرة في التخطيط من أجل النهوض الحضاري يغير واقع الأمة نحو الأفضل، ومن هنا جاءت هذه الدراسة التي تقوم على دعوى أن نتاج الفكر الاسلامي في فلسفة التاريخ يمثل ثروة فكرية غنية على المستوى التاريخي المميز، كما أن لها تنوع في وجهاتها مع احتفاظها دائما بهويتها، فهي ثروة ذات أصالة واضحة استمدت شرارتها الاولى من وحي القرآن، ومن ثم وعي تجارب التاريخ، والتطور في المناهج التي عند المسلمين، فمقولة "نهاية التاريخ" ليست وليدة العصر ، بل هي قديمة قدم الإنسان ذاته، فالإنسان الأول من الوجهة الأنثربولوجية اعتقد وآمن بفكرة نهاية العالم التي ترتبط بالتاريخ، ولم تكن النهاية تتعدى عنده اليوم أو الشهر، بل ارتبطت من حيث الفكرة بالساحر والمنجم، ولعبت النبوءة دورا بارزا في بلورة هذه الفكرة، أي – نهاية التاريخ والإنسان الأخير – التي جاء بها الفيلسوف السياسي الأميركي الياباني الأصل فرانسيس فوكوياما، حيث يطرح فوكوياما نظريته الأساسيَّة التي تفيد أن الديمقراطيَّة الليبراليَّة بقِيَمها عن الحرية، الفردية، المساواة، السيادة الشعبية، ومبادئ الليبرالية الاقتصادية هي التي تشكل نهاية الانسان والانسانية.

الكلمات المفتاحية: الرأي ، الفيلسوف ، نهاية التاريخ ، فوكوياما ، الإنسان الأخير، بيان الأدلة.

المقدمة

اولاً: التعريف بموضوع البحث

تُشَكِّلُ مرحلة نهاية التطور الأيديولوجي للإنسان على الصعيد الواقعي عولمة الديمقراطية الليبرالية كصيغةٍ نهائيةٍ للحكومة البشرية. والتي تبين بعض المبادئ في المجتمعاتِ المختلفة حتى تصل إلى نهاية التاريخ فلا يعني ذلك توقف الأحداث أو العَالَم عن الوجود، ولا تقترح تلقائية تبني كافة مجتمعات العالم للديمقراطية، المقصود وجود إجماع عند معظم الناس بصلاحية وشرعية الديمقراطية الليبرالية، بعد انتصارها على صعيد الأفكار والمبادئ التي يؤمن بها البعض في العصر الحاضر، لعدم وجود بديل يستطيع تحقيق نتائج أفضل منها، حتى على المدى البعيد، فأنها سوف تغلب هذه المبادئ حتى تصل إلى الإيمان بذلك، حيث أستخدم الفيلسوف فرنسيس الجدلية باعتبارها قوةً دافعة خلف حركة التاريخ البشري. هذا التاريخ ليس مُجرَّد سجلٍ للأحداث بل عمليةٌ ارتقاءٍ متواصلةٍ للفِكْرِ البشري. لهذا الارتقاء مُحركان: العلم الطبيعي الحديث، والنضال من أجل الاعتراف. وناقش كيفية تجلي هذا النضال في مجالات الثقافة، السياسة الدولية، الأخلاقيات، الدين، القومية، والعمل. الإنسان الأخير هو تحليل مرحلة ما بعد الاعتراف والانتهاء **(راهي، ٢٠١٧، ١٠)** .

وأن فوكو ياما استطاع أن يستعين بأفكار الفلاسفة أمثال افلاطون وهيغل وغيرهم حيث أضفى على أفكارهم من معرض التحليل والنقد ، وجعلها مرتكزات لما يطرحه من فهم خاص حل تحقق نهاية التاريخ واعتبر هذه النهاية مسلم بها **(فوكوياما، د.ت، ٨-٩)**.

أثار صدور هذه النظرية او الكتاب موجة من الانتقادات والآراء المختلفة حيث تنوعت انطباعات النقاد بشأن محتواه، المحتفون رَأَوْا أنَّ فوكوياما لم يكتفي بتأكيد انتصار الليبرالية بل قدم المعنى خلف هذا النصر، بينما رأى آخرون أنه مُجرَّد انتصاريةٍ ليبرالية بعد الحرب الباردة، وما بين الموقفين مجالٌ واسعٌ من الآراء والمراجعات.، يقول فوكوياما: إن الولايات المتحدة هي زعيمة العالم . ويقول: إن لديه حدساً بأنه سيكون شيئاً هاماً في التاريخ الأمريكي الجديد ، وإنه ربما سيصبح سيداً للبيت الأبيض . ونحن لانستغرب حدوث ذلك إذا كان بل نراه من طبائع الأشياء ، لما أبداه هذا النجم الفلسفي المصّنع (المفبرك) من حقد على الإسلام والمسلمين ، ومن حرص حريص على مواجهتهم وقهرهم في ديارهم ، ومن استعداء منهجي عليهم .في بحثنا هذا ستناول دراسة ونقد نظري نهاية التاريخ لفوكوياما وكشف الدوافع الحقيقية لكتابته تلك النظرية وفي نفس الوقت نسلط الضوء على الفكر الاسلامي الفلسفي ونظرته وماحواه من آراء عميقة" لان الاسلام جاء برسالة سماوية متكاملة من المعتقدات التي توضح طبيعة تلك الرسالة وضورة الايمان بها ، وتشرح معنى وجود الانسان على الارض والمهام والاعمال التي يتوجب عليه تأديتها في الحياة الدنيا ليشكل الايمان بمعتقدات الاسلام ومبادئه والالتزام بها واتباعها في الحياة ، وتأدية التكاليف التي جاءت بها الشريعة الاسلامية ، ليشكل هذا كله تصوراً لمسيرة البشرية، وبالتالي تقدين تفسير اسلامي لتاريخ مبينا مفاصله وصولاً الى نهايته، تفسيراً لا يتعلق بأحداث الماضي فحسب، بل هو تفسير يمكن الانسان المسلم من التعرف على حاضره ويمنحه القدرة على تقويمه بسبل شتى من بينها التماس العبر من الماضي كما يقترح التفسير الاسلامي للتاريخ في مرحلة تالية تسبق القراءة الواعية لحاضر نوافذ كثيرة تشرق من خلالها الملامح العامة للمستقبل .**(كردش، ٢٠٠٠)**.

ان المنطلق الجوهري للتاريخ حسب الرؤية الاسلامية هو الله فهو خالق التاريخ والحاضر فيه دائما وهو الذي يحدد نهاية التاريخ ، وتعد ارادته محور الزمن ولقد اشارت بعض آيات القرآن الكريم الى التاريخ بوصف ماضيا وحاضرا لكي تحدد رؤيتها الى المستقبل في تنبؤات تاريخية يحيطها علم الله ثمان التحول من التاريخ المؤقت الى التاريخ الابدي المسؤول عنه هو الله سبحانه وتعالى ، الا ان القران الكريم لم يشر الى الوقت المحدد او الساعة لهذا الفعل الالهي بل اشار الى اسماء وصفات وعلامات لاقتراب هذا الوقت: ﴿ **إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ** ﴾ (سورة غافر٥٩) او في ﴿ **يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا** ﴾ (سورة الاحزاب:٦٣) وغيرها من الآيات الكريمة **(راهي، ٢٠١٧، ٣٠)** .

ثانياً: ضرورة البحث وأهميته

تأتي ضرورة هذا البحث من كونه يلامس اللبنة الأساسية للمجتمع وان مجتمعنا الاسلامي يحتاج الى مثل هذه الامور لان يجعله ذا بصيره لحقائق الامور الاخلاقية والتربوية حاملا المسؤولية لحياة الانسان ويجعل الفرد عنصرا مفيدا يفكر بالعطاء للامه الإسلامية وكذلك ان هذا البحث المشار اليه يجعله واعيا لما يدبر له عالميا من خطط اعادة الاستعمار والهيمنة الحديثة عبر الاقتصاد والاعلام .

٤,١. أهداف البحث:

هو الوقوف على فحوى هذه النظرية ومدى رجاحة ادلتها التي جاءت بها في دراسة استعراضية عامة .

١,٥. منهجية البحث

المنهج المتبع في هذه الأطروحة هو المنهج التحليلي النقدي للنظرية موضوع البحث والتعرف على النظريات الفلسفية الحديثة حول نفس الموضوع ، اعتمادا على الوسائل المتاحة منها في امهات الكتب الفلسفية الحديثة .

المبحث الأول: مفهوم نهاية التاريخ

إن نظرية نهاية التاريخ تمتد جذورها إلى الأديان السماوية السابقة ، فهي تتمثل في كل فكر ديني وفلسفي حتى وصل الحال إلى بلورة هذا المصطلح عند فلاسفة العصر، أمثال: كانط وهيجل وماركس، ومع ذلك لا يمكن الأدعاء أن هذه الفكرة – أي نهاية التاريخ– مقتصرة على هؤلاء الفلاسفة الثلاث ، ولكن يمكن عدهم من أبرز من قالوا بذلك ، ولكن ارتبطت فكرة نهاية التاريخ باسم الكسندر كوجيف في الفلسفة المعاصرة ، فقد درج اسمه ضمن المهتمين بهذه الفكرة أي فكرة نهاية التاريخ **(راهي، ٢٠١٧، ١٠)** .

والمراد من نهاية التاريخ " هي مفهوم سياسي وفلسفي يفترض أن نظامًا سياسيًا أو اقتصاديًا أو اجتماعيًا معينًا قد يتطور ويشكل نقطة النهاية للتطور الاجتماعي والثقافي للبشرية والشكل النهائي للحكومة البشرية. جادل العديد من المؤلفين بأن نظامًا معينًا هو "نهاية التاريخ" بما في ذلك توماس مور في " المدينة الفاضلة" و گيورگ ڤيلهلم فريدريش هيگل و كارل ماركس **(فوكوياما، د.ت، ٨٦)** وڤلاديمير سولوڤيوف وألكسندر كوجيف**(فوكوياما، ٢٠٠٢)** ، وفرانسيس فوكوياما في كتاب عام ١٩٩٢ ، "نهاية التاريخ والإنسان الأخير" .

ويقول فوكو ياما في تعزيز نظريته بالقول: " إن الديمقراطية الليبرالية بإمكانها أن تشكل فعلا منتهى التطور الأديولوجي للإنسانية ، والشكل النهائي لأي حكم انساني أي انها من هذه الزاوية نهاية التاريخ ، فبينما كانت اشكال الحكم القديمة تتميز بأخطاء خطيرة وتناقضات لا يقبلها العقل أدت إلى انهيارها ، فأنه بالإمكان الأدعاء ان الديمقراطية الليبرالية كانت خالية من هذه التناقضات الأساسية " **(فوكوياما، ٢٠٠٢، ٣٢)**.

وقد انتقد البعض مقولة نهاية التاريخ بالقول : " المقولة بأن أنهيار الاتحاد السوفيتي يعني نهاية التاريخ والانتصار الشامل للديمقراطية الليبرالية عبر العالم، هذه المقولة تعاني من مغالطة البديل الوحيد ، وترجع جذرها إلى الافتراض الذي شاع في الحرب الباردة ، بل البديل الوحيد للشيوعية هي الديمقراطية الليبرالية ، وان زوال الأولى يؤدي إلى عالمية الثانية " **(زريق، د.ت، ٨٤)**.

المطلب الأول: نبذة من حياة فرانسيس فوكوياما وآثاره العلمية

ولد يوشيهيرو فرانسيس فوكوياما يوم ٢٧ أكتوبر/تشرين الأول عام ١٩٥٢ في حي هايد بارك بمدينة شيكاغو، لأسرة من أصول يابانية ونشأ في بيئة محافظة. هرب جد فوكوياما من الحرب الروسية اليابانية عام ١٩٠٥ إلى الولايات المتحدة، وافتتح متجراً في لوس أنجلوس بكاليفورنيا قبل أن يشمله الاعتقال الإداري الذي استهدف الأميركيين اليابانيين خلال الحرب العالمية الثانية اشتباها في ولائهم لليابان التي كانت آنذاك محاربة لأميركا. أما والده فلم يطله الاعتقال لأنه حصل على بعثة دراسية في جامعة نبراسكا **(فوكوياما، ٢٠١٦)**.

قدمت أمه إلى الولايات المتحدة وتعرفت على يوشيو فوكوياما خلال الدراسة الجامعية، انتقلت العائلة لاحقا إلى مانهاتن بمدينة نيويورك حيث عاش فرانسيس فوكوياما سنواته الأولى قبل الانتقال إلى بنسلفانيا عام ١٩٦٧. لكن والده كان أوفر حظا جده وتفادى الاعتقال لأنه حصل على بعثة دراسية في جامعة نبراسكا هذه التجربة التي مرت بها عائلة فوكوياما جعلته ناقدا للإسلاموفوبيا " **(فوكوياما ، ٨–٩)**.

تتلمذ على يد استاذه صموئيل هنتجتون ودرس في جامعة هارفرد فكانت أطروحة هنتجتون المعروفة بصراع الحضارات ، جاءت ردا على تلميذه فوكوياما التي اشتهرت فيما بعد بنهاية التاريخ والانسان الأخير**(قصبي، ٢٠٢٠)**.

إن الصورة الحقيقة التي تعكس الخلفية الفكرية والسياسية للمفكر الامريكي" فرانسيس فوكوياما" ، تتضح معالمها من مؤلفاته و بخاصة اطروحته "نهاية التاريخ و الأنسان الأخير" التي نشرها في مجلة "ناشيونال آفيرز" سنة 1989م ، قبل يتوسع فيها ويؤلف الكتاب، من أبرز اطروحاته والتي من خلالها بان تطور التاريخ البشري كصراع بين الايديولوجيات قد انتهى الى حد كبير مع استقرار العالم على الديموقراطية بعد الحرب الباردة ، و سقوط جدار بارلين سنة 1989م، وتوقعه لأنتصار اللبيرالية السياسية و الاقتصادية . لكن مانشهده ليس مجرد نهاية الحرب الباردة ، و لكن نهاية التاريخ على هذا النحو **(فوكوياما، ٢٠١٦، ٢٣)**.

وهذه نقطة النهاية التطور ألايديولوجي للبشرية وباية عولمة الديمقراطية الليبرالية كشكل النهائي للحكومة الإنسانية . يعيب "فوكوياما" على بعض البلدان غير الديمقراطية التي استوردت التكنولوجيا من دون إنتاجها قائلاً :" العيب الوحيد البارز هو منطقة الشرق الأوسط التي ليست فيها أيضا ديمقراطيات مستقرة، بينما تحتوي عدد كبيرا من الدول حيث المداخل الفردية تصل إلى المستويات الأوربية أو الأسيوية ولكن النفط يفسر كل شيء، فالمداخل النفطية سمحت لدول مثل العربية السعودية و العراق وإيران والإمارات العربية المتحدة حصل الدلائل الخارجية للحداثة. سياراتُ فيديوهات، طائرات حربية من طراز ميراج دون أن تتلقى مجتمعاتها التحولات الاجتماعية الضرورية لبناء ونحت هذه الثورة**(سفيان، دت)**.

إن هذه الرؤية تعبر عن قراءة للتاريخ والمجتمع والفكر في الغرب الأوربي وفي الولايات المتحدة الأمريكية ،وهي سلاح فكري فلسفي إيديولوجي إلى جانب القوة الاقتصادية والعسكرية للدفاع عن الوضع الذي تجسده العولمة وتعممه في العالم أجمع ،من صور الدفاع عن العولمة ما جاء على لسان فوكوياما :"كلما اقتربت الإنسانية من نهاية الألف الثالثة فإنه الأزمتين المزدوجتين للتسلطية والاشتراكية لم تتركا في ساحة المعركة إلا إيديولوجيا واحدة محتملة ذات طابع شمولي ،هي الديمقراطية الليبرالية ،عقيدة الحرية الفردية والسيادة الشعبية فبعد مائتي سنة من إطلاقها للثورتين الأمريكية و الفرنسية ،برهنت مبادئ الحياة و المساواة ليس فقط أنها دائمة ،بل أيضا أنها تستطيع أن تنبعث من جديد . "وبعد مرور عقد من الزمن على نظرية "فوكوياما" في كتابه "نهاية التاريخ والإنسان الأخير" يكتب مقالاً صدر عام ١٩٩٩م عنوانه "عشر سنين على نهاية التاريخ" يطرح فيه أطروحته السابقة ويؤكد عليها**(فوكوياما ، ٢٠١٦، ٦٨-٦٠)**، فيقول: لا شيء مما طرأ على السياسة العالمية أو الاقتصاد الكوني مدة عشر سنوات الأخيرة يشك في صحة ما انتهت أليه وهو أن الديمقراطية الليبرالية واقتصاد السوق المنقذان للوجود بالنسبة الى المجتمعات الحديثة **(فوكوياما ، ٢٠٠٢)**.

وفي مؤسسة راند، أنتج فوكوياما تحليلات مركزة للسياسة السوفييتية، وفي شيكاغو، سمح لنفسه بالتفكير على نطاق واسع، ولفت حديثه انتباه أوين هاريس، محرر في مجلة واشنطن تسمى "المصلحة الوطنية"، وعرض هاريس نشره، وكان عنوان المقال "نهاية التاريخ؟" لقد صدر هذا الكتاب في صيف عام ١٩٨٩، وقلب عالم السياسة الخارجية رأساً على عقب، وفي هذا الفصل من الاطروحة سنعمد الى الاسهاب في هذه النظرية والجدل الفكري والفلسفي الذي دار حولها ووفق تفصيل وافٍ وعلى النحو الاتي **(العلوي، ٢٠١٧)**.

المطلب الثاني: الجذور الفلسفية لنهاية التاريخ والانسان عند فوكوياما

كانت حجة فوكوياما هي أنه مع الانهيار الوشيك للاتحاد السوفييتي، تم القضاء على آخر بديل أيديولوجي لليبرالية، فقد تم القضاء على الفاشية في الحرب العالمية الثانية، والآن كانت الشيوعية تنهار، وفي الدول التي أطلقت على نفسها اسم الشيوعية، مثل الصين، كانت الإصلاحات السياسية والاقتصادية تتجه نحو النظام الليبرالي**(فوكوياما، ٢٠١٦، ١٠)** .

ولذا، فإننا إذا تخيلنا التاريخ باعتباره العملية التي تصبح بها المؤسسات الليبرالية ـ الحكومة التمثيلية، والأسواق الحرة، والثقافة الاستهلاكية ـ عالمية، فقد يكون من الممكن القول إن التاريخ قد بلغ هدفه، ومن الواضح أن الأشياء سوف تحدث، ومن المتوقع أن تشهد الدول الأصغر توترات عرقية ودينية وتصبح موطناً لأفكار غير ليبرالية، ولكن "لا يهم كثيراً الأفكار الغريبة التي تخطر ببال الناس في ألبانيا أو بوركينا فاسو"، كما أوضح فوكوياما، "لأننا مهتمون بما يمكن أن نسميه بمعنى ما التراث الأيديولوجي المشترك للبشرية"**(فوكوياما، ٢٠١٦، ١٢)**.

ويقول فوكو ياما : ان نهاية التاريخ سيجعل العالم سيغدوا عالمين ، احدهما لا يزال اسير التاريخ فيكون من الصعوبة تحريره من ذلك، والآخر: انجز التاريخ بكل مراحله فتجاوز الواقع والمفهوم فوصل إلى جوهر الاكتفاء الذاتي، فيفرض نفسه الأول على العالم وعلى الجميع الاعتراف بتفوقه واكتماله **(فوكوياما، ٢٠١٦، ١٢-١٣)**.

المبحث الثاني: المباني لنهاية التاريخ والانسان عند فوكو ياما

إن الاساس الذي يتعكز عليه فوكو ياما في إثبات نظريته هو النموذج الاقتصادي الذي وصلت اليه أميركا حيث قال: إن هيجل كتب عن لحظة حيث يصبح الشكل العقلاني الكامل للمجتمع والدولة منتصراً، والآن بعد هزيمة الشيوعية وتقارب القوى الكبرى حول نموذج سياسي واقتصادي واحد، تحققت نبوءة هيجل أخيراً، فسوف يكون هناك "تسويق مشترك" للعلاقات الدولية وسوف يحقق العالم التوازن الداخلي **(علي، د.ت، ٦٢)**.

حتى بين المجلات الصغيرة، كانت مجلة "ذا ناشيونال إنترست" صغيرة، فقد أطلقها في عام ١٩٨٥ إيرفينج كريستول، الشخصية الرائدة في المحافظين الجدد، وبحلول عام ١٩٨٩ بلغ توزيعها ستة آلاف نسخة، وكان فوكوياما نفسه غير معروف تقريباً خارج عالم علماء السوفييت المحترفين، وهم أشخاص غير ميالين إلى التأمل الإسخاتولوجي، ولكن ادعاء "نهاية التاريخ" التقطته الصحافة السائدة، وقد تناول جيمس أطلس مقال فوكوياما في مجلة نيويورك تايمز، ونوقشت مقالته في بريطانيا وفرنسا وترجمت إلى العديد من اللغات، من اليابانية إلى الأيسلندية، وكانت بعض الاستجابات لـ"نهاية التاريخ؟" رافضة؛ ولقد كان أغلبهم متشككين، ولكن هذه العبارة وجدت طريقها بطريقة ما إلى فكر ما بعد الحرب الباردة، وظلت عالقة في الأذهان **(فوكوياما، ١٩٩٣، ٦٥)**.

وربما كان من الممكن أن يحدث عدد من الأشياء التي أدت إلى إقرار وعد جورباتشوف بعدم التخلي عن وعده والمتمثل في المقاومة السياسية داخل الاتحاد السوفييتي السابق، ورفض الأنظمة العميلة في أوروبا الشرقية التنازل عن السلطة، وسوء إدارة الولايات المتحدة لأوراقها، ولكن الأحداث في أوروبا كانت تتكشف وفقاً لتوقعات فوكوياما إلى حد ما، وفي السادس والعشرين من ديسمبر/كانون الأول ١٩٩١ صوت الاتحاد السوفييتي على إقصائه عن الوجود، وبهذا انتهت الحرب الباردة حقاً**(قاسم، ٢٠٠٧، ٨٦)**.

ولكن الأحداث في آسيا لم تكن بهذا القدر من الإرضاء، لقد أغفل فوكوياما تماماً قمع الحركة المؤيدة للديمقراطية في الصين، فلم يرد ذكر للمذبحة التي وقعت في ميدان السلام السماوي في مقاله "نهاية التاريخ؟"، وربما يرجع ذلك إلى أن

المقال كان في طور الإنتاج عندما وقعت المذبحة، في يونيو/حزيران ١٩٨٩، ولكن يبدو أن هذا لم يحدث أي فرق في استقبال المقال، فلم يكن أي من الاستجابات الأولية للمقال تقريباً من بين أولئك الذين تأثروا به، ولقد ذكر فوكوياما أيضاً ميدان السلام السماوي . على الرغم من اعتقاد كثيرين بالفعل بأن الصين، وليس روسيا، هي القوة التي يتعين على الديمقراطيات الليبرالية أن تحسب لها حساباً في المستقبل، وكان السؤال "نهاية التاريخ؟" أوروبياً بعض الشيء**(حسين، ٢٠١١، ٤٣)**.

وكان هناك أيضاً تحول مغر في حجة فوكوياما، ففي نهاية المقال، اقترح أن الحياة بعد التاريخ قد تكون حزينة، فعندما تُخَصَّص كل الجهود السياسية "للحل اللامتناهي للمشاكل التقنية، والمخاوف البيئية، وإرضاء مطالب المستهلكين المتطورة"، فقد نشعر بالحنين إلى "الشجاعة، والخيال، والمثالية" التي حركت النضالات القديمة من أجل الليبرالية والديمقراطية، وقد ذكرنا هذا الازدهار اللافت بالسؤال الشهير الذي قال جون ستيوارت ميل إنه طرحه على نفسه عندما كان شاباً: إذا تحققت كل الإصلاحات السياسية والاجتماعية التي تؤمن بها، فهل سيجعلك هذا إنساناً أكثر سعادة؟

وربما كان السبب الآخر وراء الاهتمام بمقال فوكوياما يتعلق بمسمى وظيفته الجديدة، كان مكتب تخطيط السياسات في وزارة الخارجية قد أنشئ في عام ١٩٤٧ على يد جورج كينان، الذي كان أول رئيس له، وفي يوليو/تموز من ذلك العام، نشر كينان مقالاً بعنوان "مصادر السلوك السوفييتي" في مجلة الشؤون الخارجية، وقد ظهر المقال دون ذكر اسمه . وقد حمل توقيعه علامة "X" . ولكن بمجرد أن علمت الصحافة بهويته، استقبلت المقالة باعتبارها بياناً رسمياً للسياسة الأميركية في الحرب الباردة **(حمد، ٢٠٠٧، ٤٤)**.

كان مقال "مصادر السلوك السوفييتي" يحدد مبدأ الاحتواء، والذي بموجبه كان هدف السياسة الأميركية إبقاء الاتحاد السوفييتي داخل صندوقه، وكان كينان يعتقد أن الولايات المتحدة ليست في حاجة إلى التدخل في الشؤون السوفييتية، لأن الشيوعية محكوم عليها بالانهيار بسبب عدم كفاءتها، وبعد أربعة عقود من الزمان، عندما ظهر مقال "نهاية التاريخ؟"، بدا الأمر وكأن هذا هو ما يحدث بالضبط، ففي ذلك الشهر من إبريل/نيسان، ظهر كينان، الذي كان في الخامسة والثمانين من عمره آنذاك، أمام لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ ليعلن انتهاء الحرب الباردة، وقد قوبل بحفاوة بالغة، وعلى هذا فقد كان من الممكن أن ننظر إلى مقال فوكوياما باعتباره خاتمة لمقال كينان .

إن هذا ليس الكتاب الذي كان كينان ليكتبه، إن الاحتواء مبدأ واقعي، ويعتقد الواقعيون أن السياسة الخارجية لأي دولة لابد وأن تسترشد باعتبارات غير عاطفية لمصالحها الخاصة، وليس بالمبادئ الأخلاقية، أو بالاعتقاد بأن الدول تشترك في "انسجام المصالح"، وبالنسبة لكينان، لم يكن من شأن الولايات المتحدة أن تهتم بما فعله السوفييت داخل صندوقهم، وكان الشيء الوحيد المهم هو عدم السماح للشيوعية بالتوسع **(حمد، ٢٠٠٧، ٤٤)**.

ويبدو إن مجلة "المصلحة الوطنية"، كما يشير اسمها، مجلة واقعية للسياسة الخارجية، ولكن فرضية فوكوياما كانت أن الدول تشترك في انسجام المصالح، وأن تقاربها على النماذج السياسية والاقتصادية الليبرالية كان مفيداً للطرفين، إن الواقعية تتخيل الدول في منافسة دائمة مع بعضها البعض؛ وكان يرى إ"ن هذا لن يكون الحال بعد الآن، لقد قدم لواقعي الحرب الباردة نوعاً من الوداع: فقد تم إنجاز مهمتهم، على الرغم من سوء تصورهم الفلسفي، والآن أصبحوا عاطلين عن العمل، "لقد تصور فرانك أن ما يحدث كان يعني نهاية عالم الواقعية السياسية"، هكذا قال هاريس في وقت لاحق، ولابد أن نشر مقال فوكوياما كان سبباً في إسعاده .

الخاتمة

وفي نهاية المطاف لابد من تسجيل بعض النتائج التي تمخض عنها البحث والتي نعتقد أنها جديرة بالاهتمام ويمكن اجمالها بالنقاط التالية:

١-فرانسيس فوكوياما هو مُنظِّر ياباني أمريكي يُنظِّر في مجال السياسة. أصبح فوكومايا مشهورًا عالميًا بمقالته بعنوان "نهاية التاريخ" التي نُشرت عام ١٩٨٩، لأنه في هذه المقالة المكونة من خمسة عشر صفحة تنبأ بطريقة ما بانهيار الاتحاد السوفيتي.

٢-قبل فوكومايا، توصل كل من هيجل ونيتشه إلى نظرية نهاية التاريخ بطريقة ما. لقد رأى هيجل أن التاريخ يتجه نحو "الحرية" و"العقلانية"، وكلما ابتعدنا عن بداية التاريخ، اقتربنا من تحقيق الحرية والعقلانية.

٣-يعتقد فوكوياما أن التاريخ يتبع سلسلة من القواعد المنتظمة والمنطقية. ووفقا له، لا شيء يحدث في التاريخ بالصدفة؛ كل الأحداث التي تحدث في التاريخ مرتبطة بالحقائق والأحداث التي سبقته. ولذلك فإن كل حدث جديد في التاريخ يظهر استمراريته وتأثره بالأحداث والوقائع التي سبقته. في الواقع، يتبع التاريخ نظامًا محددًا للغاية، وبالتالي يمكن التنبؤ به. يعتقد فوكوياما أن نظام التاريخ وشرعيته يمكن تخمينه من شرعية واستمرارية حياة الناس.

٤-يبدو أن نظرية "نهاية التاريخ" قد فشلت. يظهر ظهور الحكومات النيوليبرالية أن نهاية التاريخ قد تم تأجيلها في الوقت الحالي، وأن نظام الديمقراطية الليبرالية لن يعني بالضرورة آخر نوع من الحكومات في تاريخ البشرية. والأهم من ذلك أننا نتعلم من التاريخ أن المستقبل لا يمكن التنبؤ به. وبالمناسبة، وخلافاً لرأي فوكوياما الذي قال إن التاريخ ليس سلسلة من الأحداث العمياء التي لا معنى لها، ينبغي القول إن التاريخ مليء بالأحداث العمياء التي لا معنى لها.

٥-ان من بين الانتقادات الأساسية الأخرى التي ترد على نظرية نهاية التاريخ لفوكوياما، هي أن هذه النظرية بوصفها فلسفة تاريخية دنيوية، تنظر إلى التاريخ بوصفه أمراً ذاتياً ومكتفياً بنفسه، وتتجاهل ارتباط التاريخ بالمشيئة الإلهية .

المصادر

١- قيس ناصر راهي، نهاية التاريخ دراسة تحليلية نقدية وحضوره المعاصر، الناشر: العتبة العباسية ، الطبعة: الأولى، ٢٠١٧، ص١٠.

٢- يُنظر: فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ والإنسان الأخير، ترجمة: الدكتور فؤاد شاهين وآخرون، الناشر: مركز الانماء القومي، بيروت – لبنان، ص٨-٩.

٣- احمد كردش: مقال بعنوان: " بين نهاية التاريخ وكورونا .. ماذا تبقى للنموذج الليبرالي الغربي، منشورعلى موقع الجزيرة نت، بتاريخ، ٢٠٠٠/٥/١.

٤- قيس ناصر راهي، نهاية التاريخ دراسة تحليلية نقدية وحضوره المعاصر، الناشر: العتبة العباسية ، الطبعة: الأولى، ٢٠١٧، ص٣٠.

٥- المصدر نفسه، ص١٠.

٦- فرانسيس فوكو ياما، نهاية التاريخ والإنسان الأخير، مصدر سابق، ص٨٦.

٧- فرانسيس فوكوياما، مقال بعنوان: عشر سنين على نهاية التاريخ، ترجمة الشنوني، الناشر: دار الثقافة العربية، في الكويت، سنة ٢٠٠٢.

٨- فرانسيس فوكو ياما ، مصدر سابق، ص٢٣.

٩- الدكتور برهان زريق، التجديد الحضاري في الدار العربية، ص٨٤.

١٠- فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ بداية الشهرة، موقع الجزيرة الاخباري، ٢٠١٦/٣/١٦.

١١- يُنظر: فرانسيس فوكوياما، نهاية الانسان عواقب الثورة البيوتكنلوجية ، ترجمة أحمد مستجير، ص٨-٩.

١٢- حنان قصبي، مقالات في المنهج والاسلام والحداثة، منشورات مجلة الحرية ، الرباط – المغرب، ٢٠٢٠.

١٣- يُنظر: فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ والانسان الأخير، مصدر سابق،ص٢٣.

١٤- الصاحب سفيان، بحث بعنوان: فرانسيس فوكوياما والتأسيس الفيوبولتيك لنهاية التاريخ، جامعة وهران، كلية العلوم الاسلامية.

١٥- فرانسيس فوكوياما: نهاية التاريخ والانسان الاخير، مصدر سابق، ص٦٨-٦٩.

١٦- فرانسيس فوكوياما، مقال سابق بعنوان: عشر سنين على نهاية التاريخ، الناشر: دار الثقافة العربية، الكويت.

١٧- سعيد بن عيد العلوي: مقال بعنوان: التاريخ بين النهاية والبداية قراءة في كتاب فوكوياما بداية التاريخ، منشور على موقع مؤمنون بلا حدود، فبراير، ٢٠١٦.

١٨- يُنظر: فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ والإنسان الأخير، المصدر السابق، ص١٠.

١٩- يُنظر: فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ والانسان الأخير، ص١٢.

٢٠- يُنظر: المصدر نفسه، ١٢-١٣.

٢١- يُنظر: حسين علي، نهاية التاريخ وصدام الحضارات، الناشر: دار النقاش، بيروت- لبنان، ص٦٢.

٢٢- فرانسيس فوكوياما: نهاية التاريخ وخاتم البشر، ترجمة حسين أمين، الناشر: مركز الاهرام للترجمة والنشر، الطبعة : الأولى، القاهرة، ١٩٩٣، ص٦٥.

٢٣- عبد العزيز قاسم، نهاية التاريخ تحت مجهر الفكر العربي حول فوكوياما بمرأة المثقفين العرب، السعودية، ٢٠٠٧، ص ٨٦.

٢٤- خليل حسين، العلاقات الدولية النظرية والواقع الاشخاص والقضايا، منشورات: الحلبي، الطبعة: الأولى، ٢٠١١،ص٤٣.

٢٥- حمد سيف حيدر، نظرية نهاية التاريخ وموقعها في اطار توجيهات السياسة الامريكية النظام العالمي الجديد، الناشر: مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٧، ص٤٤.

٢٦- المصدر نفسه.